نشيد الخلود

حدثنا الاستاذ الشيخ فؤاد الخطيب نظم هذه القصيدة البليغة ان معانيها وصورها نشأت في ذهنه على اثر مطالعته لكتاب « بانتظام الفلك » الذي وضعه المرحوم الدكتور مصروف باسطاً فيه عظمة الكون وروائعه

نظر المشيبُ اليك قبل اوانِ فرزحتَ تحت غوائلِ الاشجانِ
ودَّعتَ يومَك فاستطار بك الاسى جَزَعاً تَعَضُّ عليهِ كلَّ بَنانِ
ونَفَضْتَ ثوبك منهُ أشعث مُحْنَقاً نَفْضَ المُتَابِ الطَّلَّ فوق رعانِ
كم نظرةٍ لكَ انت عبست كأنها قَبَسٌ تَهافَتَ عنْ شِبَاهِ سنانِ
قاهراً بدهرك مقبلاً او مدبراً ان ضاق ذَرْعُ سواك بالكتمانِ

***

وَيْحَ « الطبيعة » كيف تَمزُجُ بِرَّها باللؤم تسخرُ منك كالمُجَّانِ
تتلقفُ الفضلاتِ ثم تدُسُّها لك في الطعام شهية الالوانِ
من كل فاكهةٍ وناعم مَبْتَةٍ هي في الرغام وليدة الادرانِ
تتحوَّل الاوضار تحت صَعيدِها صُوَراً من الثمرات في الافنانِ
ومن الجنان قشيبة أبرادها ومن الربيع مضمَّخ الاردانِ
ولو استتبَّ لك اكتناهُ خفيِّها لعجبْتَ كيف تُسام كلَّ هوانِ
وشهدت بين يدَيك صُنْعَ مُشَعْوذٍ لبقِ اليدينِ وساحرٍ فنَّانِ

***

تركتْك اعزل بين مشتجر الاذى تتخطفتْك طوارق الحدثانِ
ورمتك بالخلق المشمِّر خلسةً من كل مطَّلع وكل مكانِ
متدفق وقد استمرَّ محجَّباً يستلُّ منك سلامة الابدانِ

تردُّ المياهَ وكلُّ سائل قطرةٍ سيلٌ من الحشرات والحيوانِ
خفيت عنيك ، ورنَّحت عنك الجوى فنأيت عن حقدٍ لحقدٍ دانِ

***

ان ضلَّتك وأربتك فإنها طُبعت على التمويه والعدوانِ
ولشدَّ ما اختلفت عليك فاصبحت لك قدوة في الختل والرَّوغانِ
فركبت رأسك تستفزُّك نزوةٌ خبطت بك الظلمات غير مُعانِ
وحملت اعباء السنين تجشُّماً من اجل بعض اللهو بضع ثوانِ
أجرٌ لسر ابيك ابخس ما رأت عينانِ ، او سمعت به أذنانِ

***

فسلِ الحياة الى م يصرع بعضها بعضاً فجيٌّ عليهِ وجانِ
هي بين مأكولٍ وآخر آكلٍ متطاحنين فناشئٌ من فانِ

***

تبني وتهدم ما بنتهُ ملولةٌ تتبدَّلُ البنيانَ بالبنيانِ
كالشارب الملتحِّ بعد تحمُّسٍ شجَّ الكؤوس ، وعجَّ بنتَ الحانِ

***

لله كم للجهل عندك من يدٍ ازرت بكل يدٍ من العرفانِ
عبرت بهِ الاوهامُ تأنف عندها بردَ اليقين ونعمة الرضوانِ
فالشهب تسبح ، والنجوم مطلةٌ سهراً عليك وحولك القمرانِ
مخلوقة لك ، دون غيرك ، — كلها صور اليك — وانت ذو السلطانِ
تلك السعادة في الحياة وان تكن عبث الوليد وضحكة الازمانِ

***

ولقد وثبت من الخمول وما تذق في العلم غير مرارة الخذلانِ
فرأيت عالمك الشيّد ذرةً خلل الجرة في سديم دخانِ
فنكصت اخسأ ما نكصت مزلزلاً من روعة الملكوت في الاكوانِ
سُدُمٌ تهيم ولا فضاء يحدها زَمَعٌ بين تصدعٍ وكيانِ
تلد العوالم والشموس تفجُّراً — عددَ الرمالِ — تفجر البركانِ
من انت في الدنيا ؟ ومن هي نفسها ؟ فتقول نحن ! ومن هما الثقلانِ

***

الويتَ منخلع الفؤاد بنجوةٍ واليأس حولك ضارب بجرانِ
وغبرت تهلع من مصيرك في غدٍ أن يستبدَّ به الزوال الثاني
تتقضُّ منتثر الهباء ممزّقاً بين العناصر طاسن المُنْوانِ
حمل الشواة عليك في زعماتهم فضللت بين الحسِّ والوجدانِ
اني كفرت بما يقول غويهم ورضيت بالتوحيدِ والايمانِ

***

الوحي اصدق والخليقة آيةٌ لله تنطق عنهُ بالبرهانِ
ومن الخلود على الخلود ادلّة للنفس تنسخُ زخرف البهتانِ
والارض دائرةٌ : فهل ابصرتها كرةً ؟ وهل أحسستَ بالدورانِ
الحس يكذبُ ، والعقول كليلة ، والروح أطهر ، والوجود معاني

فؤاد الخطيب

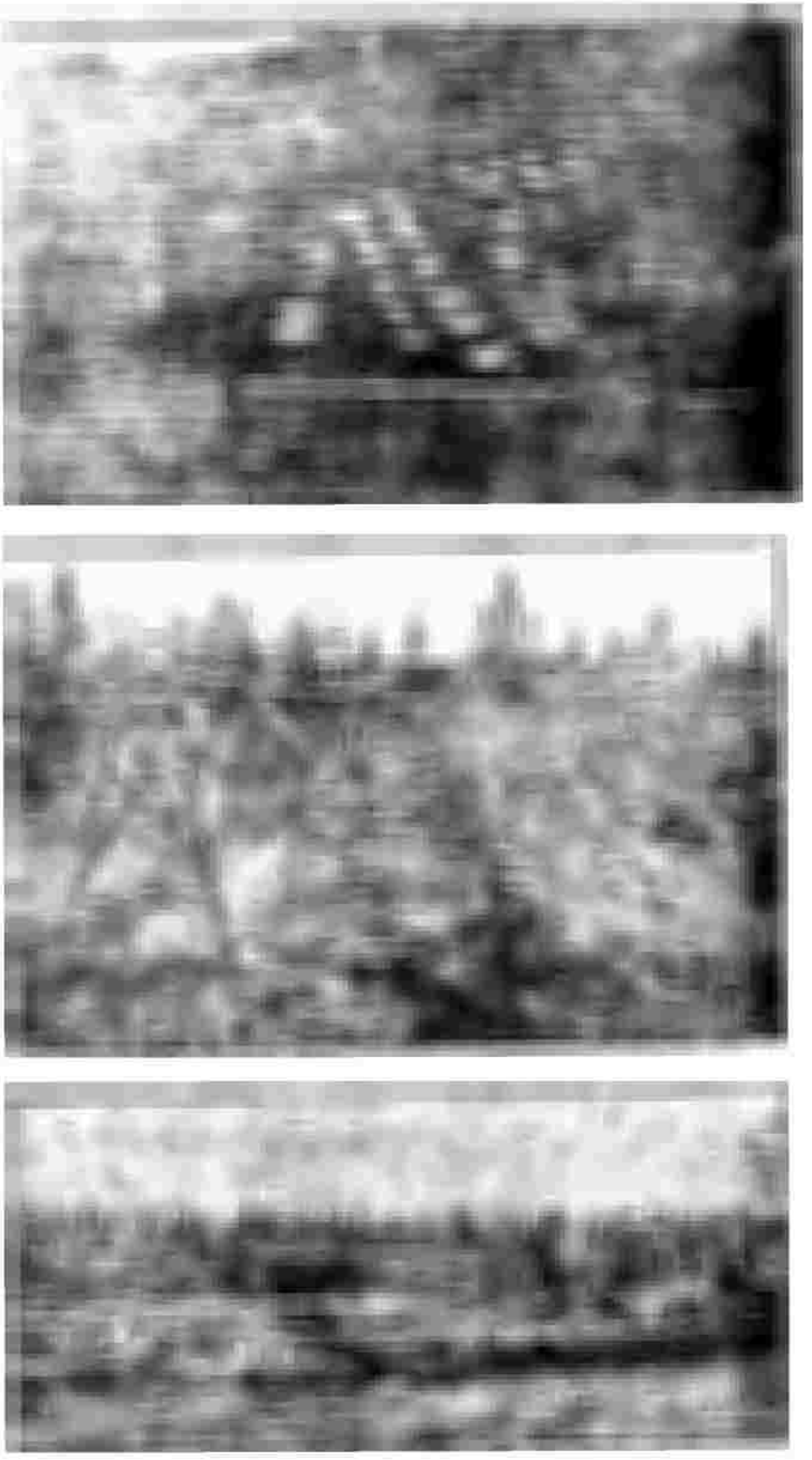

من قرآبار النفط والاحواض التي يخزن فيها